القراءة المعاصرة للنص لسورة الفاتحة عند مُحَمَّد أركون (عرض ونقد)

د. محمود علي أحمد علي صالح

أستاذ مساعد في جامعة القلم للعلوم الانسانية والتطبيقية– إب

The Contemporary Reading of Surat Alfatiha: Mohammad Arkoon

(presentation and criticism)

Dr. Mahmoud Ali Ahmed Ali Saleh
Assist. Prof. and Head, Department of Qur'an Sciences,
Qalam University, Ibb

Abstract

The purpose of this research is to clarify and pinpoint the mistakes of the contemporary reading of the Qur'an text. It is based on the reading of Dr. Mohammad Arkoon, one of the most prominent figures who employed the contemporary reading methodology in the religious text. The research presents one of Arkons's readings of Surat Alfatiha as a living example of his contemporary reading. In particular, it presents the stages of his reading of this Surat, criticizing each stage. Thus, it is concluded that contemporary reading of the Qura'nic text in its practical aspect is nothing but an example of the contemporary distortion of such a text under a new name.

مجلة القلم

(علميّة – فصليّة – محكّمة)

الرقم الدولي

(ISSN 2410-5228)

تصدر عن جامعة القلم

للعلوم الإنسانية والتطبيقية

مدينة إب

الجمهورية اليمنية

www.alkalm.net

القراءة المعاصرة للنص لسورة الفاتحة عند مُحَمَّد أركون (عرض ونقد)

د. محمود علي أحمد علي صالح

أستاذ مساعد في جامعة القلم للعلوم الانسانية والتطبيقية- إب

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان ونقد أخطاء القراءة المعاصرة للنص في تعاملها مع القرآن، من خلال قراءة أحد أبرز الشخصيات الذين سلكوا منهج القراءة المعاصرة للنص الديني، وهو الدكتور مُحَمَّد أركون، ومن خلال مثال تطبيقي من قراءته المعاصرة، وهو: قراءته لسورة الفاتحة، وذلك من خلال عرض مراحل قراءته للفاتحة، مع نقد كل مرحلة منها، للوصول إلى أن القراءة المعاصرة للنص في الجانب التطبيقي منها ليست سوى التحريف المعاصر للنص القرآني تحت مسمى جديد.

المقدمة

اشتملت سورة الفاتحة "على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن"(١).

وقد تضمنت معاني السورة الكريمة الشفاء من أنواع الشبهات إضافةً إلى كونها شفاء ورقية من أمراض الأبدان، ولهذا فإنَّ فهم هذه السورة الكريمة، ومداومة تدبرها تفتح للعبد أبواباً من المعاني المتضمنة لتقوية الإيمان وردّ الشبهات.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " وتالله لا تجدُ مقالةً فاسدة، ولا بدعةً باطلة إلا وفاتحةُ الكتاب متضمنةٌ لردّها وإبطالِها بأقرب الطرق، وأصحِها وأوضحِها، ولا تجدُ باباً من أبواب المعارف الإلهية، وأعمالِ القلوب وأدويتِها من عللها وأسقامِها إلا وفي فاتحة الكتاب مفتاحُه، وموضعُ الدلالة عليه، ولا منزلا من منازل السائرين إلى رب العالمين إلا وبدايتُه ونهايتُه فيها.

ولعمر الله إنَّ شأنها لأعظم من ذلك، وهي فوق ذلك، وما تَحَقَّقَ عبدٌ بها، واعتصم بها، وعقل عمن تكلم بها، وأنزلها شفاء تاما، وعصمة بالغة، ونورا مبينا، وفهمها وفهم لوازمها كما ينبغي ووقع في بدعة ولا شرك، ولا أصابَه مرضٌ من أمراض القلوب إلا لماما، غير مستقر.

هذا، وإنها المفتاح الأعظم لكنوز الأرض، كما أنها المفتاح لكنوز الجنة، ولكنْ ليس كلُ واحدٍ يُحسِن الفتحَ بهذا المفتاح، ولو أنَّ طلاب الكنوز وقفوا على سِرِّ هذه السورة، وتَحَقَّقُوا بمعانيها، وركَّبُوا لهذا المفتاح أسنانا، وأحسَنُوا الفتحَ به، لوصلوا إلى تناول الكنوز من غير مُعَاوِقٍ، ولا مُمَانِع"(٢).

ولّما كانت هذه المنزلة الرفيعة هي منزلتها، وكانت شفاء من أمراض الشبهات، فقد سعى بعض أهل الشبهات لتحريف معانيها، وإخراجها عن مقاصدها بتأويلات وتحريفات عديدة، ومن ذلك: ما قام به بعض أفراد مدارس القراءات المعاصرة للنصِّ من إعادة قراءة آيات السورة الكريمة بما يتفق مع مناهجهم المختلفة (المنهج الألسني تارة، والمنهج التاريخي أخرى)، وهو الدكتور مُحَمَّد أركون في كتابه: "القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل

الخطاب الديني" حيث أفرد جزءاً من كتابه[٣] لدراسة سورة الفاتحة دراسةً " من دون أسبقيات لاهوتية"[٤] كما يزعم، وهدفه البرهنة على أنَّ " للقراءة الألسنية قيمةً لا تُضَاهى من حيث التقشف والدقة والصرامة"[٥].

وتجليةً لما وقع به هذا الباحث من انحرافات علمية في هذه المسألة رأيتُ أن أقوم بدراسة نقدية لما كتب وفق منهج النقد العلمي المتعارف عليه، وسميته:

"القراءة المعاصرة للنَّصِّ لسورة الفاتحة عند مُحَمَّد أركون (عرض ونقد) "

حيث استعرضتُ من خلاله قراءة أركون الألسنية لسورة الفاتحة، ومدى تأثير مثل هذه القراءة على التفسير الصحيح للسورة الكريمة.

خطة البحث: اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في تمهيد وثلاثة مباحث:

التمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريفُ بالقراءة المعاصرة للنَّص.

المطلب الثاني: التعريفُ بالدكتور مُحَمَّد أركون.

المبحث الأول: مرحلة التعريف بالمقروء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريفُ بسورة الفاتحة عند مُحَمَّد أركون.

المطلب الثاني: القوانينُ الثلاثةُ لقراءة سورة الفاتحة عند الدكتور مُحَمَّد أركون.

المبحث الثاني: مرحلة التحليل الألسني للسورة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحليلُ الدكتور مُحَمَّد أركون للمعارف والضمائر في السورة الكريمة.

المطلب الثاني: تحليلُ الدكتور مُحَمَّد أركون للأفعال والأسماء في السورة الكريمة.

المطلب الثالث: تحليلُ الدكتور مُحَمَّد أركون للجُمَل وللنَّظم في السورة الكريمة.

المبحث الثالث: مرحلة التفسير الإجمالي للسورة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: طُرقُ التفسير الإجماليّ لسورة الفاتحة

المطلب الثاني: اللحظة التاريخية، والقوانينُ (الأنساقُ) التي تؤثّرُ في التفاسير القديمة لسورة الفاتحة (تفسيرُ الرَّازي أنموذجا).

المطلب الثالث: احتواءُ سورة الفاتحة على الموضوعات الكبرى في الحياة(دراسة اللحظة الأنتربولوجية)، ومقدارُ انفتاح المعنى في السورة الكريمة.

منهج البحث

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي من خلال جمع وتحليل كلام مُحَمَّد أركون في سورة الفاتحة من كتابه: القرآن بين التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ونقده حسب منهج النقد المتبَّع.

تمهيدٌ

نحتاج قبل الشُّروع في بيان مراحل قراءة أركون لسورة الفاتحة، وأثر كل مرحلة على تفسير السورة أن نتعرف على المقصود بالقراءة المعاصرة للنَّصِّ، وعلى الدكتور مُحَمَّد أركون الذي تدور هذه الدراسة حول قراءتِه، وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: التعريفُ بالقراءة المعاصرة للنَّص.

القراءة المعاصرة للنَّصِّ، مصطلحٌ حديثٌ يُراد به: استخدام النظريات الحديثة في فهم وتأويل القرآن الكريم[٦].

وقد تعددت تلك النظريات التي يستخدمها أصحابُها في تأويل القرآن الكريم، وصرفه عن مقاصده، منها: النظريات القائلة بتاريخية النَّصِّ الديني، و" هذا التأويل القائم على تاريخية الأحكام الدينية يمثِّل قدْراً مُشتركاً بين جميع من ينتمي إلى المؤولة الجدد"[٧]، ومنها: النظريات المعتمدة على مناهج التحليل، ومنها: مناهج اللسانيات[٨] الحديثة، والتي يُعتبر الدكتور مُحَمَّد أركون من أبرز من يطبقها، حتى قال عن نفسه: " لقد شرعت في تطبيق إشكاليات ومناهج اللسانيات والسيميائيات[٩] لتحليل الخطاب القرآني منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي"[١٠].

المطلب الثاني: التعريفُ بالدكتور مُحَمَّد أركون.

الدكتور مُحَمَّد أركون، جزائري الأصل فرنسي الجنسية، ولد في بلدة توريرة ميمون بمنطقة القبائل الكبرى بالجزائر عام ١٩٢٨م.

الدراسة: قضى فترة الدراسة الابتدائية في توريرة ميمون والثانوية في وهران، ثم الدراسة الجامعية بكلية الفلسفة في الجزائر ثم حصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون سنة ١٩٦٨م.

أعماله: عمل أستاذاً جامعياً في جامعة السوربون من سنة ١٩٦١م إلى سنة١٩٩١م، كما عمل أستاذا زائرا في جامعات عديدة حول العالم. ومنذ سنة ٢٠٠٠م مستشاراً علمياً للدراسات الإسلامية في مكتبة الكونجرس في واشنطن العاصمة. وعمل أستاذاً وعضواً في مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن منذ ١٩٩٣م.

وفاته: توفي في ١٤سبتمبر ٢٠١٠م، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط في المغرب[١١].

مشروعه الفكري: كل ما كتبه الدكتور أركون منذ أربعين سنة وحتى اليوم يندرج تحت عنوان: نقد العقل الإسلامي، وهو كما يقول: "مشروع نقد العقل الإسلامي لا ينحاز لمذهب ضد المذاهب الأخرى ولا يقف مع عقيدة ضد العقائد التي ظهرت أو قد تظهر في التاريخ"[١٢].

كتبه: كتب الدكتور أركون عدداً من الكتب، ومما له تعلُّقٌ بدراسة بعض المباحث القرآنية:

١- القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ويعتبر من أهمِّ مؤلفاته في الدراسات القرآنية، و ينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام، وهي: المكانة المعرفية والوظيفة المعيارية للوحي: مثال القرآن، وموقف المشركين من ظاهرة الوحي، وقراءة سورة الفاتحة، وقراءة سورة الكهف[١٣].

٢- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد[١٤]: ومن المباحث التي تناولها مباحث الوحي[١٥]، وجمع القرآن[١٦]، والتفسير[١٧].

٣- الفكر الإسلامي قراءة علمية[١٨]: وقد تضمن هذا الكتاب فصلين مهمين، أحدهما: العجيب الخلاب في القرآن الكريم، واحتوى على عدد من الموضوعات المتعلقة بالمعجم اللفظي في القرآن، والإعجاز القرآني[١٩]، والثاني: حساب ختامي للدراسات القرآنية وآفاقها، وتضمن الإشارة إلى المؤلفات في علوم القرآن، وقد تناول الإتقان خاصة ببحث طويل[٢٠].

وللدكتور أركون كتبٌ كثيرةٌ غيرها، ولا تكادُ تخلو كتبه كلُّها من الكلام عن بعض المباحث القرآنية، وفيما سبق مثالٌ لذلك.

المبحث الأول: مرحلة التعريف بالمقروء

المطلب الأول: التعريفُ بسورة الفاتحة عند مُحَمَّد أركون:

يحتاج المتدبّر لسور القرآن الكريم تمام التدبُّر، والساعي لتفسيرها أن يُلِمَّ بالعلوم المتعلقة بتلك السور، ونزولها، وفضائلها، وذلك لما لعلوم السورة الكريمة من دورٍ في فهمها وتدبرها.

وقد بدأ أركون كلامه عن سورة الفاتحة بسؤال هو: ما هو المقروء ؟ ومثْل هذا السؤال يبين الناحية المعرفية عند أركون، ومدى إلمامه بما يتعلق بالفاتحة من علوم، ومع أنَّ جواب هذا السؤال ينبغي أن يكون باستعراض ما يتعلق بها في كتب علوم القرآن من مقدمات إلا أن ذلك لم يحدث، بل اكتفى أركون بطرح بعض الإشكاليات.

فقد جعل الدكتور مُحَمَّد أركون المدخل لدراسته سورةَ الفاتحة هو بطرح إشكالية كبيرة يدور حولها في عدد من كتاباته، ألا وهي: عدم إمكانية معرفة الأحوال التي صاحبت نزول القرآن – ومنه الفاتحة، وفي هذا يقول:" الشيء المثالي الذي نحلم به والممتنع عن التحقيق هو أن نستطيع وصف الوضعية العامة للخطاب بشكل شمولي كامل، أقصد: وصف الظروف التي لُفظت فيها سورة الفاتحة بشكل شفهي لأول مرة"[٢١].

والقول بعدم إمكان معرفة الظروف المصاحبة للتنزيل باطلٌ إذ أفرد العلماء علماً كاملاً لذلك، وهو: علم أسباب النزول.

كما أنَّ مثل هذا المدخل في تناول سورة الفاتحة يبدأ بإعلان العجز عن تفسير السورة الكريمة، للعجز عن توصيف الظروف التي صاحبت نزولها، ومن كانت هذه حاله فهو أبعد عن تفسير السورة وتدبرها.

كما يُقدِّم الدكتور مُحَمَّد أركون جواباً عن سؤاله المفتاحي لدراسة السورة الكريمة بعضاً من المعلومات المتعلقة بترتيب نزول السورة فيها أخطاء ظاهرةٌ، فيقول: "كل ما نستطيع قوله هو أن هذا النصَّ القصير الموضوعَ في رأس المدونة القرآنية- ومن هنا اسم الفاتحة التي خُلِعَ عليها فيما بعد- يحتل في الترتيب الكرونولوجي[٢٢] الرقمَ ٤٦، ولذا يمكن القول بأنه من المفيد، على الأقل تاريخياً، أن نقرأ الفاتحة من خلال السياق الممتد من السورة رقم (١) إلى السورة رقم (٤٦)، ولكن بشرط أن يكون هذا الترتيب التاريخي لسور القرآن صحيحاً بشكل قاطع، ثم على

الأخص، بشرط ألا تكون السورة غائبةً عن مدونة ابن مسعود ومدونة ابن عباس (أو مصحف ابن مسعود ومصحف ابن عباس)"[٢٣].

ومثل هذا الكلام يحتوي على عدة أخطاء، وهي باختصار:

الأول: أن اسم الفاتحة كان لكون السورة الكريمة وضعت في بداية المصحف، وبالتالي فهو اسم متأخر، وهذا باطل، بل هذا الاسم كان مستعملاً معروفاً في زمن النبي ﷺ قبل وضع السورة الكريمة في بداية المصحف[٢٤].

ومن الأحاديث الدالة على التعبير عن الفاتحة بهذا الاسم، حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[٢٥].

الثاني: أن ترتيب سورة الفاتحة في النزول هو (٤٦)، وقد رتَّبَ على ذلك أهمية قراءة السورة بالنظر للسور قبلها، والقول بأن ترتيب سورة الفاتحة في النزول هو السادسة والأربعون لم أجده لغير أركون، بل أكثر أهل العلم أنها مكية[٢٦]، ومنهم من قال: إنها أول سورة نزلت (وهذا قولٌ ضعيف)[٢٧]، والذي يمكن القول به هو أنَّ السورة مكية كما هو قول أكثر العلماء، وذلك أنَّه " ما حُفِظَ أنه كانت في الإسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين"[٢٨]، والصلاة فُرضت في مكة، وأنها من أوائل السور نزولاً.

و من كانت هذه معلوماته الأولية عن السورة التي توجه لدراستها تحديداً، فإن النتائج التي سيخرج بها سيعتريها الغلط من باب أولى.

ومما أورده أركون في بيانه لما هو المقروء، تمييزه بين حالتين من حالات النطق بالفاتحة، إذ يميز بين حالتين من حالات النطق بالفاتحة، عبَّر عنهما بالمنطوقتين الأولى والثانية، يقول: " ينبغي علينا أن نميز بين منطوقة أو عبارة أولى تخص الجُمَلَ التي تلفَّظ بها النبي حقيقةً ضمن ظروف لا يمكن أن نعرفها أبداً، وبين منطوقة ثانية، تخصُّ النصَّ المعطى لنا أو الذي وصل إلينا كتابةً، والذي ينبغي أن نقرأه أو أن نتلوه تلاوةً، ونقصد به نصَّ الفاتحة الموضوع في رأس المدونة الكلية (أي المصحف)، إن مفهوم الفاتحة يحيلنا أساساً إلى جميع القِيم الشعائرية، واللاهوتية، واللغوية، والسياقية، وهي قيم مُدْرَكَةٌ أو مُسْتَقَطَةٌ على المنطوقة الثانية عن طريق تراث تفسيري طويل غير منفصل عن ممارسة دينية مركزية، الواقع أنّه ينبغي أن تُتلى الفاتحة في بداية كل ركعة من ركعات الصلاة الإسلامية: أي سبع عشرة مرة في اليوم على الأقل، وهذه حالة تُعَقِّد مهام قراءتنا"[٢٩].

وهذا التقسيم إلى منطوقتين، هو لتأكيد المعنى الذي سبق أن قرَّره أركون في عدم معرفة ظروف النزول، إذ المنطوقة الأولى – حسب تعبير أركون- لا يمكن أن نصل إليها ونعرف المراد بها.

وأما المنطوقة الثانية – حسب تقسيم أركون- وهي سورة الفاتحة الواردة في المصاحف، والتي تُقرأ في الصلاة، وتتضمن معاني عظيمة تتعلق بالتوحيد والنبوات والأمر والنهي، فقد رأى أركون أن ما تتضمنه من ذلك مُسْتَقَطٌ عليها بواسطة كتب التفسير.

وهذا الرأي يترتب عليه عدم وجود سبيل لتفسير السورة الكريمة وفهمها للجهل بظروف النزول الأولى، ولأن ما يتعلق بالسورة من معاني عظيمة إنما هو إسقاطات المفسرين على السورة.

كما أنَّ وصفه للتراث التفسيري الطويل بأنه (غير منفصل عن ممارسة دينية مركزية) هو إشارة منه إلى العلاقة بين تلاوة القارئ – التي يصفها هنا بالْمُمارسة الدينية المركزة– والتفسير، وذلك أنَّه يعتبر القراءة الشعائرية، وهي الْمُمارسة الدينية، متعلقةً بالقراءة التفسيرية، وموصلة إليها، وهو ما سيذكره في قوانين قراءة سورة الفاتحة، وهذا له تعلق بنظرية التلقي عند المدارس الأدبية الحديثة، والتي تقوم على أن المتلقي هو العامل الأبرز في صناعة المعنى للنص من خلال آلية الاستجابة والأدوات التي يحملها(٣٠).

ومثل هذه النظرية يترتب عليها باطل كبير في فهم النصوص القرآنية، إذ تتعدد معانيها ودلالاتها بناء على تعدد القراء، وهو ما يجعل النصوص لا تحمل المعاني في ذاتها، وإنما تحمل من المعاني ما يضيفه إليها القارئ نفسه.

المطلب الثاني: القوانينُ الثلاثةُ لقراءة سورة الفاتحة عند الدكتور مُحَمَّد أركون.

يرى أركون أن هناك ثلاثة قوانين لقراءة سورة الفاتحة، وهي:

١– بروتوكول القراءة الشعائرية:

حيث يقول: "هناك ثلاثة بروتوكولات تفرض نفسها علينا: هناك أولاً بروتوكول القراءة الطقسية أو الشعائرية، بالطبع فإن هذه القراءة هي وحدها الصالحة أو الصحيحة من وجهة نظر الوعي الإسلامي، فالمسلم إذ يكرر الكلمات المقدسة للفاتحة، يعيد تحيين اللحظة التدشينية التي تلفَّظ أثناءها النبي بكلمات الفاتحة لأول مرة، وهذا يعني أنه يلتقي من جديد بالحالة العامة للخطاب الخاصِّ بالمنطوقة الأولى، إنه يلتقي بالمواقف الشعائرية، والتواصل الروحي مع جماعة المؤمنين الحاضرين والغائبين، وبالالتزام الشخصي لكل مؤمن بالميثاق الذي يربطه بالله"(٣١).

وهذه القراءة الشعائرية كما يسميها أركون، وهي في حقيقة الأمر: التعبد لله تعالى بسورة الفاتحة، تلاوةً لها في الصلوات وغيرها.

وأركون باعتباره أنَّ حالة التعبد بتلاوة الفاتحة في الصلوات وغيرها هي من القراءة الشعائرية التي لا يأخذ بها، إنما يتخلى عن بابٍ عظيم من أبواب التفسير، وهو: تكرار التلاوة، والتعبُّد بتلاوتها المقتضِي لاستحضار الإخلاص والخشوع أثناء التلاوة.

٢– البروتوكول التفسيري:

يقول الدكتور مُحَمَّد أركون: " أما البروتوكول الثاني للقراءة فيمكن وصفه بالبروتوكول التفسيري، وهو الذي اتبعه المؤمنون منذ أن كانوا قد تعرَّفوا على المنطوقة الأولى، وهكذا شكّلوا أدبيات تفسيرية غزيرة على مدار القرون"(٣٢).

وما يسميه أركون القراءة التفسيرية، هو في حقيقته: تفسير أهل العلم للقرآن الكريم بدايةً من التفسير النبوي ومروراً بتفاسير الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم.

وهذا الجهد الكبير الذي قام به العلماء في تفسير القرآن هو لباب معرفة تفسير السورة الكريمة، وعلى قدْر زيادة العلم بتفسير الآية يزيد تدبُّرها.

وأركون يرى أن الوعي الإسلامي يرى القراءة الشعائرية –كما سبق– هي وحدها الصالحة والصحيحة، ثم في هذه الفقرة: القراءة التفسيرية، يذكر أنها القراءة هي التي اتبعها المؤمنون، وهذا يفيد أنهما أمران متكاملان وإن كان عرض أركون لهما يشير إلى اختلافهما.

٣– البروتوكول الألسني النقدي:

يقول الدكتور مُحَمَّد أركون: " أمَّا البروتوكول الثالث والأخير للقراءة فهو ذلك الذي سنحاول اتباعه، وبما أننا لا نملك تسمية أفضل، فإننا سندعوه بالبروتوكول الألسني النقدي، وسوف تكون قراءتنا ألسنية أو لغوية أولاً لأنها تهدف، بقدر الإمكان، إلى تبيان القيم اللغوية المحضة للنَّصِّ، ولكنها ستكون نقديةً أيضاً بمعنى أن كل ما سنقوله لن تكون له إلا قيمة استكشافية أو افتراضية في نظرنا"(٣٣).

وهذا النوع من القراءة الذي اعتمده أركون، لا يُحَقِّق بشكل صحيح ومتكامل حتى معرفة الناحية اللغوية للنصِّ القرآني، ومنه سورة الفاتحة باعتبارها محلَّ دراسة أركون—كما سيتبين في المبحث الثاني–.

كما أن اعتبار أركون أن قراءته هذه ستكون نقدية، وتفسيره للنقدية بأنها التي لها قيمة استكشافية وافتراضية هو خلل في مفهوم النقد، كما أنّه حتى على المعنى الذي أراده أركون: انتقالٌ من طرق التفسير الصحيحة للنصوص والتي تُثْمِر معارف سليمة إلى طريقة غاية ما فيها هو التجريب والاستكشاف.

ولهذا فإن تقديم هذا النوع من القراءة على النوعين قبله يؤدي إلى قُصُور ظاهر في تفسير القرآن، وخروج بنتائج ليست من القرآن في شيء.

المبحث الثاني: مرحلة التحليل الألسني للسورة.

المطلب الأول: تحليلُ الدكتور مُحَمَّد أركون للمعارف والضمائر في السورة الكريمة.

يبدأ أركون تحليله الألسني(٣٤) لسورة الفاتحة بالكلام عن المعارف(٣٥) في السورة الكريمة، و أركون يرى أن فائدة المعارف العامّة: أنَّ جميع ما يتحدث عنه المتكلم معروفٌ، يقول: " نلاحظ أولاً أن جميعَ الأسماء (من مصادر، أو أسماء الفاعل والمفعول به أو الصفات الاسمية) محدَّدةٌ إما بواسطة أل التعريف، وإما بواسطة تكملة تعريفية، هذا يعني: أنَّ كل ما يتحدث عنه المتكلم معروفٌ تماما أو قابلٌ لأن يُعرَف"(٣٦).

وهذه الفائدة تحصيل حاصل، ولا تستحق أن تُذكر على أنها فائدة المعارف، بل المعارف لها فوائدُ وأغراضٌ كثيرةٌ، تتعدد بتعدد أنواعها، " ولَمَّا كانت دلالات المعارف ليست سواءً كان لا بُدَّ من بيان فروق دلالاتها، ودواعي اختيار كلّ قسم منها، وهذا أمْرٌ اهتمَّ به البلاغيون، لتبصير دارسي النصوص البليغة كي يُدْرِكُوا مراميها"(٣٧) وقد اعتنى علماء البلاغة بتعداد أغراض التعريف في كل نوع(٣٨).

والمتأمل فيما أورده العلماء من أغراض للتعريف ينفتح له بابٌ عظيمٌ من أبواب تفسير القرآن الكريم.

أمَّا بمثل هذا المدخل لتحليل أركون الألسني، فإنه قد سدَّ باب التفسير باعتباره أنَّ فائدة التعريف هي: أن ما يتحدث عنه المتكلم معروفٌ.

المعارف التي تناولها الدكتور محمَّد أركون بالدراسة:

١- **لفظ الجلالة (الله):** يقول أركون:" إن تعريف (إله)[٣٩] عن طريق أداة التعريف قد يحيلنا إلى مفهوم غير متبلور كثيراً في النصوص السابقة للفاتحة (أي السور القرآنية من رقم(١) إلى رقم (٤٥)، بالمقابل، فإن هذا التعريف يميل إلى أن يحلَّ تسمية وحيدة وكونية محلَّ استخدام مشترك ذي مضمون متغير، ولأجل تثبيت المضمون الجديد للتحديد، فقد شُرِحَت (أل التعريف) بشكل ما مباشرةً من قبل استخدام أسماء البدل من أمثال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾"[٤٠].

و القول بأن مفهوم كلمة (الله) كان غير متبلور في النصوص السابقة للفاتحة غير صحيح، بل كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام، وورود لفظ (الله) في الشعر الجاهلي أكثر من أن يحصر، ولهذا عندما ورد في القرآن الكريم لفظ (الله) كان معناه واضحاً عند السامعين يعرفونه من لغتهم.

كما أنَّه لم تكن تسمية الإله سبحانه باسم (الله) هي التسمية الوحيدة، بل أسماء الله الحسنى في القرآن كثيرة، ولذا فالقول بأن تعريف (إله) بأل التعريف كان لهذا الغرض غير صحيح، يبطله واقع الأمر.

وهذا التحليل الألسني للفظ الجلالة (الله) أورد فيه أركون ما يجعل تعريف لفظ الجلالة هو زيادةٌ في إبهامه، إذ هو كما يرى يحيلنا إلى مفهوم غير متبلور، وبالتالي: فإن هذا التحليل يُبعد الشخص عن تفسير القرآن-ومنه: سورة الفاتحة- أكثر مما يُقرِّبه إليه.

وأمَّا مجيء الاسم (الله)، واختياره في الآية الكريمة، فقد قال الإمام ابن القيِّم -رحمه الله تعالى-: "اشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها"[٤١].

٢- **الحمد:** يقول أركون: " إن قيمة أداة التعريف مهمة جداً أيضاً في التركيبة اللغوية التالية: الحمد، أو أل-حمد، بالأحرى، ينبغي أن نُسَجِّل هنا قائلين بأن فطنة المفسِّرين الكلاسيكيين كانت قد لمحت أو أدركت الأهمية المعنوية لهذا الاستخدام. وقالوا بأن أداة التعريف لها قيمةُ التعميم في الزمان والمكان، وقيمةُ الحمد، يقول الرازي: (الفائدة الثانية: أنه تعالى لم يقل: أحمد الله، ولكن قال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ وهذه العبارة الثانية أولى لوجوه:

أحدها: أنه لو قال: أحمد الله أفاد ذلك كون ذلك القائل قادرا على حمده، أما لَمَّا قال: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ فقد أفاد ذلك أنه كان محمودا قبل حمد الحامدين، وقبل شكر الشاكرين، فهؤلاء سواء حمدوا أو لم يحمدوا وسواء شكروا أو لم يشكروا، فهو تعالى محمود من الأزل إلى الأبد..)"[٤٢].

ومن خلال تحليل أركون السابق نرى أنَّه لم يزد على تكرار قول المفسِّرين — والرازيّ خاصَّةً- وهذا يدل أن تحليله لم يقدِّم جديداً.

ومن هنا فإن المتدبّر لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾لا يخرج بفائدة تزيد في تدبُّره وفهمه لتفسير الآية من خلال تحليل أركون لهذه الكلمة.

بل يكفيه النظر في كلام المفسّرين، وسيجد أنواعاً من الاستنباطات تعينه على تفسير السورة وفهمها(٤٣).

٣- ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾،﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾،﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾،﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾: يقول أركون: "إن أداة التعريف لها وظيفة التصنيف في التراكيب اللغوية التالية: ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾، ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (المنعَم عليهم)(٤٤)، ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾، ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾. فهذه التراكيب هي عبارة عن مفاهيم، أو أصناف أشخاص محددين بدقَّة من قِبَل المتكلم وقابلين للتحديد من قِبَل المخاطب عندما يصبح بدوره قائلاً أو متكلما"(٤٥).

وهذا التحليل الألسني لعدد من الكلمات لم يزد فيه أركون على أن وصف أداة التعريف (أل) فيها بأن لها وظيفة التصنيف.

وهذا غير صحيح، بل أداة التعريف (أل) يتكلم عنها أهل العلم – وأهل البلاغة خاصّةً- من نواحي عديدة، فيذكرون أنواعها، وأغراض كل نوعٍ.

وذلك أنَّ (أل) التعريف نوعان: (العهدية) و (الجنسية):

فـ(أل) العهدية من أغراضها: تدخل على الْمُسند إليه للإشارة إلى فرد معهود خارجاً بين الْمُتخاطبين.

و(أل) الجنسية، ومن أغراضها: الاشارة إلى الحقيقة: من حيث هي - بقطع النَّظر عن عمومها وخصوصها، و الإشارة إلى الحقيقة في ضمن فرد مُبهم، إذا قامت القرينة على ذلك، والإشارة إلى كلِّ الأفراد التي يتناولها اللفظ بحسب اللغة، و الإشارة إلى كلّ الأفراد مقيَّداً(٤٦)، وعلى قدْر إدراك الْمُفسِّر لكتاب الله تعالى لذلك، يكون انتفاعه.

٤- **التعريف بالإضافة:** ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: يقول أركون: " المعنى الشائع لكلمة رب (أو سيّد كما نقول: سيّدُ البيت) قد أصبح خصوصياً أو مخصصاً عن طريق الطرف المحدّد: أي عالمين (وهي كلمة تعني الكون بصفته حقيقة فضائية وزمانية) وبالعكس، فإن عالمين على الرغم من لانهائيتها موضوعةٌ تحت تبعية رب"(٤٧).

وما ذَكَرَه أركون أنَّ الرب في الآية معناها السيّد منتقد، إذ معنى الرب هنا أعم من السيّد، بل يشمل السيّد والمربي والمالك، قال ابن جرير -رحمه الله تعالى- في معاني كلمة الرب: " تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة: فربّنا جلّ ثناؤه: السيد الذي لا شِبْه لهُ، ولا مثل في سُؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر"(٤٨).

كما أنَّ تفسيره للعالمين فيه قصور في بيان معناها، ومعناها أعمُّ، قال ابن جرير -رحمه الله تعالى-: " والعالَم: اسم لأصناف الأمم، وكل صنف منها عالَمٌ، وأهل كل قَرْن من كل صنف منها عالم ذلك القرن وذلك الزمان.

فالإنس عالَمٌ، وكل أهل زمان منهم عالمُ ذلك الزمان. والجنُّ عالم، وكذلك سائر أجناس الخلق، كلّ جنس منها عالمُ زمانه "[٤٩].

وكلمة (رب) وقع تعريفها بالإضافة، و "يعتبر الغرض الأول من إضافة النكرة إلى المعرفة هو التعريف"[٥٠].

وأما الغرض الذي ذكره أركون، وهو أن كلمة رب أصبح معناها مخصوصاً بالعالمين، وكلمة العالمين أصبحت تابعة لكلمة رب، فهو إخلال بالمعنى، وحصر له في بعض ما يندرج فيه.

والأصل أن القول بعموم المعنى مما يوسِّع نظر الْمُفسِّر بخلاف القول بتخصيص المعنى، وعليه: فإن تحليل أركون لهذا الموضع هو مما يسهم في إضعاف التفسير لا في تقويته.

الضمائر[٥١] التي تناولها الدكتور مُحَمَّد أركون بالدراسة:

تناول أركون ثلاثةً من أنواع الضمائر في سورة الفاتحة، وهي:

١- ضمير المخاطب المنفصل[٥٢] (إيّاك): يقول أركون: "نلاحظ أولاً وجود ضمير زائد خاص بالشخص الثاني المفرد (أو ضمير المخاطب في صيغة المفرد). وهو مستخدم مرتين مع أداة الفصل (إيَّا) للدلالة على من تتوجه إليه العبادة (نعبد)، ومن نطلب منه المعونة (نستعين): إياك نعبد، وإياك نستعين. والمرسَل إليه المقصود هنا هو (الله). ويعود هذا الأخير بصفته فاعلا نحوياً في أنعمت، واهدنا"[٥٣].

وهكذا نجد أن دراسة أركون للضمير المنفصل (إياك) لا تعدو وصفا عاما، دون التعرض للخصائص البلاغية للضمائر عموما[٥٤]، ولا بيان أغراض تقديم الضمير المنفصل الواقع موقع المفعول به في هذه الآية الكريمة[٥٥]، ومثل هذا يجعل الفائدة التفسيرية من كلام أركون هنا غير متحققة.

٢- ضمير المخاطَب المتصل: يقول أركون: " أما المتضادة الثنائية: أنعمت عليهم، وغير المغضوب عليهم، فإنها تبين لنا أن الفاعل النحوي مصرَّح به في الحالة الأولى عن طريق ضمير المخاطب (تَ) المستخدم في أنعمتَ. فهو المعترَف به كفاعل للأفضال أو النِّعَم الممنوحة لبعض المخلوقين. أما في الحالة الثانية، فعلى العكس نلاحظ أن الفاعل النحوي المفروض من قبل السياق لا يمكن أن يكون إلا أل-لاه (الله) أيضا. ولكنه مضمر في هذه الحالة وليس مصرَّحا به. بل وإنه من الناحية القواعدية مجهولٌ. وتركيبة العبارة على صيغة المجهول يعادل الذين غُضِبَ عليهم"[٥٦].

وافتراض أركون للتضاد بين (أنعمتَ) و (المغضوب) غير صحيح، إذ لا يستقيم من جهة النحو إذ الأول فعل ماضٍ والثاني اسم مفعول، ولا من حيث المعنى، إذ الإنعام نوعان: خاصٌ وعام، والمغضوب عليهم محرومون من الإنعام الخاص، وهو الإنعام بالهداية للإسلام، إذ " قد شاركوا المؤمنين في إنعام كثير عليهم، فبين بالوصف أن المراد بالدعاء ليس هو النعم العامة، بل ذلك نعمة خاصة"[٥٧].

كما أن تفريقه بين الفاعل في (أنعمتَ) وهو الضمير المتصل، وبين الفاعل للغضب في (غير المغضوب) بأن الأول مُصرَّحٌ به والثاني مُضمَر لا يؤثر من ناحية تفسيرية إذا عُلِمَ الفاعل.

٣- ضمير الجمع المتصل: "وأما الضمير الآخر المصرح به فهو: نحن الموجودة في نعبد، نستعين، اهدنا. إن "نحن" تعبر عن "لا - أنا" ضمنيةٌ وضروريةٌ مصحوبة بقيمتين: أنا وأنت، أنا وهم. ولكن بما أن ال(نحن) مرتبطة أولاً بـ أنت في نصنا، فإن قيمتها المعنوية لا يمكن أن تكون إلا أنت وهم. والمقصود بـ "هم" هنا جميع القائلين أو المتكلمين الحاضرين أثناء التلاوة الطقسية أو الشعائرية. ولكنها أيضا تعني جميع المتكلمين المحتمَلِين أو الممكنين الذين عندما يقولون النص (أو عندما يلفظونه) لا يمكنهم أن يُفلتوا من القيم اللغوية الملازمة أو المحايثة..."[٥٨].

ونلاحظ ربْط أركون للمعنى في الضمائر بالتلاوة – التي يصفها بالطقسية- وذلك يشير لاعتباره التلاوة هي المساهم في المعنى لا الدلالات اللفظية فحسب، وهذا باطل، وهو المعروف بنظرية التلقي[٥٩].

وهذا الكلام في الضمائر المتصلة لا يقدم على مستوى التفسير للفاتحة أي اضافة فعلية، فلم يتعرض لأغراض الضمائر البلاغية ولا بيَّن موضوع الضمائر المتصلة بصورة متكاملة

المطلب الثاني: تحليلُ الدكتور مُحَمَّد أركون للأفعال والأسماء في السورة الكريمة.

الأفعال التي تناولها الدكتور مُحَمَّد أركون بالدراسة:

١. الفعلين المضارعين: ﴿ نَعْبُدُ ﴾، و﴿ نَسْتَعِينُ ﴾:

يقول أركون: " نجد أولاً فعلين مصرَّفين على طريقة الفعل المضارع وهما: نعبد، نستعين. وصيغة الفعل المضارع تدل على التوتر، وعلى الجُهد الذي يبذله العامل رقم (٢) لكي يصل إلى العامل رقم(١) [ذَكَرَ في الحاشية أن العامل رقم (١) هو الله، والعامل رقم(٢) هو الإنسان].

إنَّ الفعلَ المضارعَ يدل على ديمومة هذا الجهد من أجل سدِّ الفجوة الكائنة بين متكلم يعترف بوضعه كخادم وضعيف، ومخاطَب محدّد بكل إلحاح بصفته الشريك الأعلى الجدير بالعبادة، والقادر في خطِّ الرجعة على الشفقة والرحمة، يدل على هذا الإلحاحُ باستخدام كلمة إيَّاك مرتين قبل كل فعل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾"[٦٠].

وما ذَكَرَه أركون من كون المضارع يدل على التوتر لا تفيده صيغته، ولم يُشِر إليه أهل الاختصاص، بل دلالة المضارع هي الاستمرار والتجدد والمشاهدة، وكأن الفعل يحدث الآن[٦١].

٢. فعل الأمر ﴿ اهْدِنَا ﴾:

يقول أركون: " إنَّ فعل الأمر ﴿ اهْدِنَا ﴾ الذي يجيء بعد الفعلين المضارعين، لا يمكن أن يشتمل فعلاً على قيمة الأمر. بل على العكس فإنه يوضح الاسترحام الموجود ضمنياً في ﴿ نَعْبُدُ ﴾، و﴿ نَسْتَعِينُ ﴾."[٦٢].

وما أورده أركون سبقه إليه العلماء، وبينوا دلالات الأمر المختلفة، وأن هذا الأمر في الآية الكريمة هو من قبيل الدعاء[٦٣]، ولهذا فقوله إن الأمر للاسترحام غلطٌ.

٣. فعل الماضي ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾:

يقول أركون: " أما الفعل الوحيد الذي يتخذ صيغة الماضي ﴿ أَنْعَمْتَ ﴾، فإن فاعله النحوي هو العامل رقم(١). وهو يدل على حالة حصلت أو تمت ولا مرجوع عنها. "[٦٤].

وما ذَكَرَه أركون في الفعل الماضي هو إعادة وصف لدلالته، وأنه (يدل على حالة حصلت أو تمت) ومثل هذا الوصف لا يُشَكِّل اضافة لتفسير السورة الكريمة.

الأسماء التي تناولها الدكتور مُحَمَّد أركون بالدراسة:

١ – الأسماء الأصلية[٦٥]:

يقول أركون: " إن نصنا يحتوي على الكلمات البدئية أو الأصلية التالية: اسم، ال–لاه، حمد، رب، يوم، دين، صراط. على الرغم من أن كلمة عالَم مشتقة، وكذلك الصنو المتماثل رحمن رحيم، إلا أن لها صيغة قريبة من الجذر (جذر الكلمة في التصريف). ودراسة الحقل المعنوي لهذه الكلمات ينبغي أن تتم على مرحلتين: ينبغي أولاً أن نربطها بالبنى الإيتيمولجية (أو الأصلية) للمعجم العربي، أي لمفردات اللغة العربية؛ وينبغي ثانياً أن نقيِّم التحولات المعنوية التي طرأت عليها داخل النظام اللفظي أو المعجمي المستخدم من قِبَل اللغة القرآنية، لا نستطيع للأسف ان نقوم هنا بهاتين المهمتين من البحث العلمي. أقول ذلك ونحن نعلم أنه عن هذا الطريق وحده نستطيع أن نقيس حجم تدخل المتكلم في عملية القول، وانطلاقاً من ذلك، في ترسيخ مناخ جديد من المعاني"[٦٦].

ومن خلال كلام أركون عن الأسماء الأصلية (الجامدة) نجده يصرح بعدم امكان دراستها بناء على عدم إمكان ربطها بأصولها في المعجم العربي، ولا معرفة التحولات المعنوية التي طرأت عليها.

ومثل هذين العملين لا يخفى على أي دارس للغة العربية إمكانيتها، إذ ربط الألفاظ بأصولها المعجمية هو ما قامت عليه المعاجم عامة، وخصوصا المعاجم التي تُعْنَى بردِّ الألفاظ إلى أصول مُحدَّدة للمعاني، أمثال مقاييس اللغة(٦٧)، والذي بناه على إرجاع الكلمات إلى أصولها، وفي ذلك يقول: " إن للغة العرب مقاييس صحيحة، وأصولا تتفرع منها فروع. وقد أَلَّفَ الناس في جوامع اللغة ما أَلَّفُوا، ولم يُعرِبوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس، ولا أصل من الأصول. والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم. وقد صَدَّرنا كل فَصْل بأصله الذي يتفرع منه مسائله، حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيبا عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه."[٦٨].

كما أنَّ ما تتيحه التقنيات الحديثة للباحث من استعراض المفردة العربية وفق تاريخ استعمالها هو مما يُساعد على ملاحظة الدلالات التي مرَّت بها.

٢ – الأسماء المشتقَّة:

يعرض أركون في دراسته لسورة الفاتحة لعدد من الأسماء المشتقة فيها، فيقول: " يبدو من السهل أكثر أن نقبض على هذا التدخل في عمليات التحويل إلى اسم، أي اللجوء إلى كلمات مزدوجة (كالمصادر التي قد تكون أسماء فاعل أو مفعول به) وهذه المصادر تمارس فعلها نحوياً كأسماء في الوقت الذي تعبّر فيه عن عملية فعل...

وهذه هي حالة الاسم المليء بالحميّا: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ ﴾..[٦٩].

كما تنطبق على اسم الفاعل ﴿ مَٰلِكِ ﴾التي يفضّلها المفسرون المسلمون على التنويعة الأخرى (ملك)[٧٠] التي تمثل اسماً مستقراً أو ساكنا، هذا في حين أن كلمة مالك تعبر عن الارادة المؤثرة لفاعل يعتمد عليه استحقاق يوم الحساب والقرارات التي ستُتخذ في ذلك اليوم."[٧١].

ومما يَستوقف الباحثَ وصفُ أركون لاسم (الحمد) بأنه مليء بالحميا، وبالعودة للمعاجم وجدتُ أن (الحميا) تدور عندهم على: بلوغ الخمر من شاربها، ودبيبها، وحُمَّيَا الشيء: شِدَّتُه[٧٢]، ومثل هذه المعاني لا يصح وصف هذا اللفظ بها، وإن كان هناك معنى آخر للفظ في استعمال أركون فإن من اللازم عند الكلام عن القرآن الكريم تجنب الْمُوهم من الألفاظ.

كما أنَّ تفريقه بين القراءتين (ملك) و(مالك) بأن الأولى ساكنة، والثانية تدل على الارادة المؤثرة للفاعل غير دقيق، إذ (ملك) صفة مشبهة، و(مالك) اسم فاعل، وكلاهما تُفَسَّر باعتبار اضافتها إلى (يوم الدين)، قال ابن عاشور –رحمه الله تعالى–: "وقد تصدى المفسرون والمحتجون للقراءات لبيان ما في كل من قراءة (ملك) – بدون ألف– وقراءة (مالك) – بالألف– من خصوصيات بحسب قصر النظر على مفهوم كلمة ملك ومفهوم كلمة (مالك)، وغفلوا عن إضافة الكلمة إلى يوم الدين، فأما والكلمة مضافة إلى يوم الدين فقد استويا في إفادة أنه المتصرف في شؤون ذلك اليوم دون شبهة مشارك"[٧٣].

وما أورده أركون في الاسمين (الحمد) و (مالك) أورد مثله في اسم الفاعل (الضالين) واسم المفعول (المغضوب) ولم يورد ما يترتب عليه أثر في تفسير هذه الأسماء في السورة الكريمة.

المطلب الثالث: تحليلُ الدكتور مُحَمَّد أركون للجُمَل وللنَّظم في السورة الكريمة.

يرى أركون أن التحليل الألسني يدعم القول بأن البسملة ليست آية من الفاتحة، وفي ذلك يقول: " سوف نرى أن التحليل الألسني سيدعم بالأحرى موقف أولئك الذين كانوا ضد دمج الآية في الفاتحة"[٧٤].

وفي هذا تحكيم للتحليل الألسني فيما هو من قبيل الرواية والنقل، وليس مدخله اللغة أصلاً.

ومع هذا يبدأ أركون تحليله للجُمَل في السورة الكريمة من بداية البسملة، إذ يرى أن الجمل الأصلية (ويعبّر عنها بالعبارة النواة) في السورة الكريمة أربع، وما سواها: جُمَلٌ شارحة (ويعبّر عنها بالعبارة التوسع)، كما في هذا الجدول:

الجمل الأصلية (العبارة النواة)	الجمل الشارحة (العبارة التوسع)
١- بسم الله	١- الرحمن الرحيم
٢- الحمد لله	١- رب العالمين. ٢- الرحمن الرحيم. ٣- مالك يوم الدين.
٣- إياك نعبد وإياك نستعين	
٤- اهدنا الصراط المستقيم	١- صراط الذين أنعمت عليهم. ٢- غير المغضوب عليهم. ٣- ولا الضالين.

ويرى أركون أن تقسيم سورة الفاتحة إلى هذا التقسيم يجعل " من السهل أن نرى أن العبارات – النويات الأربع تحتوي في آن معاً على النموذج العاملي[٧٥]، وعلى البنية المركزية للتحالف المقدَّس، وعلى الانعكاسات المعنوية المتضمَّنة في التوسعات"[٧٦].

ومن مخاطر هذا التقسيم أن أركون بنى عليه أن التشريعات ليست بنى أصلية، وإنما بنى تابعة شعائرية، يقول : "ينبغي أن نقوم برد فعل ضد ممارسة كانت شائعة لدى الفقهاء ولكنها أكثر شيوعاً الآن لدى المسلمين المعاصرين، وهي تتمثَّل في انتزاع الآيات التشريعية، والأخلاقية، والتاريخية...الخ من نواتها التبشيرية الشعائرية. في الواقع إن الأمر يتعلق ببنى تابعة، ولا يمكن معالجتها لوحدها أو بمعزل عن سياقها إلا بقرار اعتباطي"[٧٧].

وإذا كان هذا هو رأي أركون في البُنَى غير الأصلية، فلا شك أن أثر هذا الرأي على تفسير الآيات التي اعتبرها من هذا النوع سيكون بقلة النظر والتدبر فيها لأنها تابعة لآيات أخرى.

وأما ما يتعلق بالنظم والإيقاع في السورة الكريمة فقد ابتدأ أركون كلامه عنها بالاعتذار عن الكلام فيها من خلال سورة الفاتحة، يقول: " نحن نمتلك أدبيات غنية وغزيرة خاصة بالنظم والإيقاع، ولا تزال تنتظر من يدرسها طبقاً للمناهج الحديثة في التحليل العلمي، ولكن في الحالة الراهنة لمعرفتنا، فإنه من غير الممكن أن نخاطر بتفسير مرضٍ لنصٍ قصيرٍ كنص الفاتحة"[٧٨].

ومع هذا التحرز من الكلام في النظم، فقد تكلم أركون عن مثال لمراده، فقال: "ولهذا السبب فإننا سنكتفي فقط بالتنبيه إلى الملاحظة البسيطة التالية، وهى وجود قافية (إيم) متناوبة مع قافية (إين) في سورة الفاتحة. أما فيما يخصُّ الوحدات الصوتية الصغرى (الفونيمات) فإننا نلاحظ هيمنة الوحدات التالية: ميم (١٥مرة)، ولام (١٢مرة)، نون (١٢ مرة)، عين (٥ مرات) وهاء (٥ مرات). نحن نعلم أن التفسير التقليدي يضفى قيمة رمزية

على كل وحدة صوتية وعلى عدد التكرارات، وبالتالي، فإن الدراسة النَّظْمية أو الإيقاعية للعلامات أو الكلمات ينبغي أن تتلوها الدراسة الرمزية، (أو ينبغي أن تستطيل عن طريق الدراسة الرمزية)"[٧٩].

والملاحظ من هذه الدراسة للايقاع الصوتي أن أركون لم يتعرض لأثرها في تفسير الألفاظ، وإنما اقتصر على عملية احصائية لتكررات بعض الحروف، والفواصل القرآنية.

كما أنَّ تسميته للفواصل قوافي غلط، إذ لا يجوز تسمية فواصل الآيات بالقوافي، وقد نقل الإمام السيوطي في الإتقان الإجماعَ على ذلك، قال رحمه الله: "ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعا لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لأنها منه وخاصة في الاصطلاح"[٨٠].

المبحث الثالث: مرحلة التفسير الإجمالي للسورة

المطلب الأول: طُرقُ التفسير الإجماليّ[٨١] لسورة الفاتحة.

يرى أركون أن هناك طريقين لتفسير سورة الفاتحة، يقول: " هناك طريق طويل يتمثَّل في استعادة جميع التفاسير أو القراءات السابقة التي أثارتها سورة الفاتحة، وهي كثيرةٌ جداً في التراث التفسيري الإسلامي[٨٢]. والهدف من ذلك هو تحديد نقاط الخلاف والاتفاق الكائنة بينها وبين القراءة الحديثة (أو بالأحرى إعادة القراءة).

وهناك طريق قصير اختاره " علماء السيميائيات والدلالات"[٨٣] المعاصرون، ويتمثَّل في إعادة قراءة الكتابات المقدسة من أجل البرهنة على الصلاحية المنهجية والخصوبة الإبستمولوجية[٨٤] لعلم الدلالات السيميائية (أو علم العلامات والرموز).

ونحن نختار من دون أي تردد الطريق الطويل، لماذا ؟ لأن الطريقة الوحيدة لتحاشي النزعة الاصطناعية والاعتباطية للموضات العلمية العابرة التي تمثِّل إحدى السمات الصارخة لعصرنا، هي أن ننصف القدماء"[٨٥].

وهذان الطريقان لتفسير سورة الفاتحة كلاهما محل نقد:

أما الطريق الأول، فهو وإن كان في طريق سلوكه (استعادة جميع التفاسير التي أثارتها سورة الفاتحة) صحيحاً إلا أن الهدف الذي يضعه أركون لهذا الطريق، وهو تحديد نقاط الاتفاق والاختلاف بين التفاسير القديمة والقراءات المعاصرة يجعله طريقا غير ذا قيمة، إذ يتحول إلى نوع من النقد للقديم على حساب إبراز القراءات المعاصرة للنص.

وأما الطريق الثاني المختصر كما يصفه أركون فمن الواضح أنه طريق هدفه البرهنة على صحة نظرياته وليس الوصول إلى تفسير حقيقي للقرآن.

وبالتالي، فإن كلا الطريقين الذين أوردهما أركون للتفسير الإجمالي لا يصلح لتحقيق مثل هذا النوع من التفسير.

كما أنَّ استعادة جميع التفاسير التي أثارتها الفاتحة قديما إن كان مراده به حصر ذلك، فهذا أمر في غاية الصعوبة، ولا يسلكه من يكتب في التفسير، وإنما يكتفون بمجمل ما قيل في تفسير القرآن، مع تنزيل ذلك على قواعد التفسير ودلالات الفهم الصحيح.

المطلب الثاني: اللحظة التاريخية، والقوانينُ (الأنساقُ) التي تؤثِّرُ في التفاسير القديمة لسورة الفاتحة (تفسيرُ الرَّازي أنموذجا)

تكلَّمَ أركون عن التفاسير القديمة ضمن عنوان (اللحظة التاريخية)، ومما قاله: " يلزمنا إعداد مؤلف ضخم لكي نذكر جميع القراءات التي أثارتها سورة الفاتحة منذ بدايات التفسير الإسلامي، وحتى اليوم.

ويلزمنا أيضاً عملٌ طويلٌ من الجرد والفرز، ولا يمكن أن يقوم به شخص واحد، وإنما فريقٌ كاملٌ من فِرَقِ البحث، ولكي ندشِّن هذا البحث أو التحري الواسع، فإننا اخترنا ذلك التفسير الكبير لفخر الدين الرازي...

والهدف من كل ذلك هو أن نقيس حد المطابقة بين النص الأول (أو النص الوصي، النص المؤسس)، وبين النص الثاني (نص التفسير، هو هنا نصُّ الرازي). ومن ثَمَّ سنبحث عن مختلف الشيفرات (أو القوانين) التي تتحكم بقراءة الرازي أو بتفسيره"[٨٦].

وما يطلبه أركون من ذِكْرِ جميع القراءات التي أثارتها سورة الفاتحة غير لازم ابتداءً، إذ ذلك ينبني على الغرض من إيرادها، فإن كان هو الوصول إلى معنى النص القرآني، فلذلك طرقه، والتي تتم من خلال سلوك منهجية علمية محددة، وقد وضع العلماء في كتب علوم القرآن وقواعد التفسير المنهج لذلك.

وأما إن كان الغرض استعادة تلك التفاسير للمقارنة بين النص القرآني والنص التفسيري كما ذَكَرَ أركون، فهذا تعتريه إشكالات، ومنها:

ما منهجية المقارنة؟ وما آلات الْمُقارن بين النص القرآني والنص التفسيري؟

وهل يسلك طريق مناهج اللغة وعلوم القرآن ومناهج الدراسة الأصولية ؟ أم يسلك طريقا آخر مثمثلاً في الدراسات الألسنية المعاصرة؟

وكيف تتم قراءة نص تفسيري ينتمي إلى أفق معرفي معين وكُتِبَ بآليات دراسة معينة، كيف تتم دراسته وفق أفق معرفي مغاير؟

هذه الإشكالات وغيرها تؤثر في فائدة مثل هذه المقارنة المطلوبة ونتائجها.

وقد تجاوز أركون ذلك كله وقرَّر أن يعتمد تفسير الرازي –رحمه الله تعالى– أصلاً يعقد مقارنة بينه وبين النص القرآني، ولذا أورد خمسة قوانين (أو أنساق كما يُسميها) عند الرازي، وهي:

١– النسق اللغوي (أو الشيفرة اللغوية)[٨٧].

٢– النسق الديني (أو الشيفرة الدينية)[٨٨].

٣– النسق الرمزي (أو الشيفرة الرمزية)[٨٩].

٤– النسق الثقافي (أو الشيفرة الثقافية)[٩٠]

٥– النسق التأويلي أو الباطني[٩١]

ويرى أركون أن النسق التأويلي هو أهمها، يقول: " النسق التأويلي أو الباطني: وهو الأهم، وذلك لأنه من وجهة نظر المفسِّر، فإن جميع الأنساق السابقة تسير باتجاهه وتتلاقى حوله لكي تتوصل إلى المعنى الأخير للنصِّ القرآني"(٩٢).

وهذه الأنساق التي أوردها أركون فيها ما يصح أن يورد في التعامل مع التفسير، أمثال النسق الثقافي واللغوي في التفاسير، وفيها ما لا يصحُّ اعتباره نَسَقاً وقانونا تفسيريا، أمثال: النسق الرمزي، والذي هو الخيال والأسطورة، ذلك أنه حتى في التفاسير التي تُعنى بإيراد الروايات الإسرائيلية لا تُوردها على أنها خيالات وأساطير، بل على أنها مما يجوز التحديث به وإن كان لا يصدق ولا يُكذَّب(٩٣).

ثم إن هذه الأنساق قد أشارت كتب علوم القرآن وقواعد التفسير إلى النافع منها في الدراسة التفسيرية(٩٤).

المطلب الثالث: احتواءُ سورة الفاتحة على الموضوعات الكبرى في الحياة (دراسة اللحظة الأنتربولوجية(٩٥)).

يردد أركون في كتاباته الكلام عن: (أنسنة النصوص الدينية)(٩٦)، وله كُتُبٌ مستقلة في ذلك(٩٧)، والدراسات الأنتربولوجية للنصوص الدينية هي إحدى طرق أنسنة النصوص كما يريده من يرددون مفاهيم الأنسنة.

وقد بدأ أركون دراسته هذه ببيان أن المقارنة الأنتربولوجية لم تنجح " في فرض نفسها حتى الآن على الأديان التوحيدية"(٩٨).

وهذا الكلام صحيح، إذ الأديان السماوية – التي يصفها بالتوحيدية- تقوم على كون الوحي إلهيا وأما الدراسات الأنتربولوجية فتقوم على نزع صفة الألوهية عن الوحي.

ويطرح أركون سؤالاً له دلالته التي تبين مدى فهمه لسورة الفاتحة، حيث يقول: " سوف نطرح مثلاً السؤال التالي: فيما وراء الخصوصيات الدوغمائية، والشعائرية، والثقافية، واللغوية..إلخ، هل يحتوي نصّنا، وبشكل عام النص الكامل الذي يشكِّل جزءاً منه، على مرجعيات بدئية أو أصلية بشكل كامل ؟...

إن الفاتحة تقدِّم لنا الفرصة السانحة لكي نطرح مثل هذا السؤال، ولكن لا تقدم لنا المادة الكافية للإجابة عليه، بالأصل البدئي نحن نقصد الذُرَى القُصوى للوجود البشري مثل: الحياة، والموت، والزمن، والحب، والقيمة، والامتلاك، والسلطة، والمقدس، والعنف، وهذه الذرى تتداخل فيما بينها وتحيلنا كلها إلى مسألة الكينونة أو الوجود.. "(٩٩).

ومن خلال سؤال أركون وإجابته يتبين أنَّه لا يرى وجود ما أسماه: (الذُرى القصوى للوجود البشري) ليس في الفاتحة وحدها وإنما في القرآن الكريم كله !

وإذا رجعنا للأمثلة التي ضَرَبَها لتلك الذُّرى لقصوى نجده يورد: الحياة والموت والزمن ونحوها.

وهذه الموضوعات تناولها الباحثون من خلال القرآن الكريم، والدارسون للتفسير الموضوعي(١٠٠).

هذا على أنَّ مقاصد القرآن الكبرى قد احتوتها الفاتحة، وذلك أنَّ "هذه السورة جمعت معاني القرآن العظيم كله فكأنها نسخة مختصرة منه... **الألوهية** في قوله: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، **والدار الآخرة**: في قوله مالك يوم الدين، **والعبادات كلها** من الاعتقادات والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي: في قوله إياك نعبد **والشريعة كلها** في قوله: الصراط المستقيم، **والأنبياء وغيرهم** في قوله الذين أنعمت عليهم، **وذكر طوائف الكفار** في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين"(١٠١).

الخاتمة

في ختام هذا البحث نورد أهم النتائج التي انتهى إليها:

١- القراءة المعاصرة للنَّصِّ، مصطلحٌ حديثٌ يُراد به: استخدام النظريات الحديثة في فهم وتأويل القرآن الكريم.

٢- من أبرز مناهج القراءات المعاصرة للنص: منهج اللسانيات الحديثة، وهو المنهج الذي سَلَكَه أركون في دراساته للنص القرآني.

٣- يعتبر الدكتور مُحَمَّد أركون من أبرز من طبَّق مناهج القراءات المعاصرة للنصوص على القرآن الكريم، وله مشروع علمي كَرَّس حياته له، وهو: مشروع نقد العقل الاسلامي.

٤- طبَّق أركون مناهج القراءة المعاصرة على سورة الفاتحة من خلال ثلاث مراحل:

- مرحلة التعريف بالمقروء.
- مرحلة التحليل الألسني للسورة
- مرحلة التفسير الإجمالي للسورة.

٥- في المرحلة الأولى (مرحلة التعريف بالسورة) يرى أركون عدم إمكانية معرفة الظروف المصاحبة لنزولها، وبالتالي عدم معرفة معانيها، كما قدَّم أركون في هذه المرحلة معلومات خاطئة عن اسم السورة وزمن نزولها، كما أورد أركون في هذه المرحلة ثلاثة قوانين لقراءة الفاتحة، جَعَل القراءة الألسنية هي التي سيتبعها.

٦- في المرحلة الثانية (التحليل الألسني للسورة) قدَّم أركون دراسات مختصرة وبعيدة عن إبراز المعاني، فتكلم عن المعارف والضمائر والأسماء والأفعال والجُمَل والإيقاع في السورة الكريمة.

٧- في المرحلة الثالثة (مرحلة التفسير الإجمالي للسورة) اعتبر أركون أن استعادة تفاسير العلماء السابقين لسورة الفاتحة هو للمقارنة بين تلك التفاسير ونتائج الدراسة الألسنية، ومع هذا لم يعقد تلك المقارنة! كما تكلَّم أركون عن نموذج من تفاسير الفاتحة، وهو تفسير الامام الرازي رحمه الله، مُستخرجا منه خمسة أنساق أو قوانين للوصول للمعنى، جاعلاً الوصول إلى (اللحظة الأنتربولوجية) هو الهدف.

وهكذا يتبين من خلال هذا العرض لمحتوى البحث بعض أغراض القراءة المعاصرة للنصوص، وأنها تهدف لنقل النص القرآني من دائرة (النص الإلهي الْمقدس) إلى (دائرة الأنسنة)، وهذا له أثره الخطير على قدسية النص القرآني.

الهوامش

(١) مدارج السالكين (١/٣١).

(٢) زاد المعاد (٤/ ٣١٩).

(٣) قدَّم الدكتور مُحَمَّد أركون دراستَه المعتمدةَ على التحليل الألسني لسورة الفاتحة في كتابه من ص ١١١ إلى ص ١٤٤.

(٤) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١١١.

(٥) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١١٢.

(٦) انظر: نظرات في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في دول المغرب العربي، ص ٥، بحثٌ للدكتور مُحَمَّد بن زين العابدين رستم، مقدَّم لمؤتمر "القراءات المعاصرة للقرآن الكريم" المنعقد في المغرب العربي عام ٢٠١١م.

(٧) القراءة الجديدة للنص الديني، ص ٥٧.

(٨) اللسانيات أو الألسنيات: فرع من علوم اللغة الحديثة أسسه السويسري دي سوسير، ويقوم على اعتبار اللغة مجموعة علامات ارتضاها المجتمع حتى يتيح للأفراد التخاطب، انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، ص ٦٨٤.

(٩) السيميائية، أو علم الدلالة، وهي: الشروط الواجب توافرها في الرمز كي يحمل المعنى، انظر: علم الدلالة، ص ١١، السيميائية وفلسفة اللغة، ص ٤٣.

(١٠) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ٥.

(١١) ترجمته منشورة في ويكبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٩%٨٥%D٨%AD%D٩%٨٥%D٨%AF_%D٨%A٣%D٨%B١%D٩%٨٣%D٩%٨٨%D٩%٨٦

(١٢) من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، ص ٢١.

(١٣) وقد طبع الكتاب من ترجمة: هاشم صالح، ترجمه من الفرنسية إلى العربية، رغم أن المؤلف عربي، ولكنه كتب الكتاب باللغة الفرنسية، وطبعته دار الطليعة، بيروت، والطبعة الأولى منه تمَّ نشرها عام ٢٠٠١م، والطبعة الثانية عام ٢٠٠٥م.

(١٤) وقد طبع الكتاب من ترجمة: هاشم صالح، وطبعته المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، والطبعة الأولى منه تمَّ نشرها عام ٢٠٠١م، والطبعة الثانية عام ٢٠٠٥م.

(١٥) انظر: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص ٧٣-٨١.

(١٦) انظر: السابق ص ٨١-٨٩.

(١٧) انظر: السابق ص ٨٩-٩٣.

(١٨) وقد طبع الكتاب من ترجمة: هاشم صالح، وطبعه المركز الثقافي العربي، بيروت، والطبعة الأولى منه تمَّ نشرها عام ١٩٩٦م.

(١٩) انظر: الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص ١٨٧-٢٠٧.

(٢٠) انظر: السابق ص ٢٤٥- ٢٧٨.

(٢١) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١١٨.

(22) الكرونولوجيا: علم تحديد الأحداث حسب الفترة الزمنية ويتبع علوم التاريخ ويسمى الكرونولوجيا الشاملة تمييزاً عن الكرونولوجيات الخاصة ببعض المواضيع المعينة، كالموسيقى والكيمياء وغيرهما مما لا تمت بصلة لعلوم التاريخ، انظر: موقع المعرفة على شبكة الإنترنت، على هذا الرابط/
http://www.marefa.org/index.php/%D%٨AA%D%٨B%٥D%٨٦%٩D٨%٩A%D
٨١%٩:%D%٨٣%٩D%٨B%١D%٨٨%٩D%٨٦%٩D%٨٨%٩D%٨٤%٩D%٨٨%٩D%٨AC
%D٨%٩A%D%٨A

(٢٣) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١١٨.

(٢٤) انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، ص ١٠٠.

(٢٥) أخرجه البخاري (١٥١/١ برقم ٧٥٦) ومسلم (٢٩٥/١برقم ٣٩٤).

(٢٦) انظر: البرهان (١/ ١٩٤) الزيادة والإحسان (٢١١/١).

(٢٧) انظر: البرهان (١/ ٢٠٧).

(٢٨) البحر المحيط (١/ ٢٩).

(٢٩) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١١٩.

(٣٠) انظر: التلقي في النقد العربي، ص ٥.

(٣١) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١١٩-١٢٠.

(٣٢) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٢٠.

(٣٣) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٢٠-١٢١.

(٣٤) التحليل الألسني هو المعتمد على علم اللسانيات، وقد سبق المراد بعلم اللسانيات.

(٣٥) المعارفُ جَمْعُ معرفةٍ، وهي: ما دلَّ على معين، وهي سبعةُ أَنواعٍ: الضميرُ والعَلَمُ واسمُ الإشارة والاسمُ الموصولُ والاسمُ المقترنُ بِـ (أل) والمضافُ إلى معرفة والمنادى المقصودُ بالنداء، انظر: أوضح المسالك (٩٩/١)، جامع الدروس العربية (١٤٧/١).

(٣٦) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٢٦.

(٣٧) البلاغة العربية (٤١٠/١).

(٣٨) انظر: بغية الإيضاح (٧٦/١- ٩٢)، جواهر البلاغة، ص ١٠٩- ١٢٠.

(٣٩) هذا أحد الأقوال في لفظ (الله) أنّه مشتق وأصله (إله)، وقول جمهور العلماء أنّه غير مشتق، انظر: البحر المحيط (٢٧/١)، إعراب القرآن وبيانه (٩/١).

(٤٠) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٢٦.

(٤١) التفسير القيّم، ص ١١.

(٤٢) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٢٦-١٢٧. وكلام الرازي في مفاتيح الغيب (١٩١/١).

(٤٣) انظر: البحر المحيط (١/ ٣٢- ٣٤)، البرهان في علوم القرآن (٣٢٦/٣).

(٤٤) يلاحظ هنا أنه خلط بين التعريف بأل والتعريف بالاسم الموصول.

(٤٥) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص١٢٧.

(٤٦) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٢١/ ٢)، جواهر البلاغة، ص ١١٧، التعريف في البلاغة العربية، ص ١٦٩-٢٠٢.

(٤٧) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص١٢٧.

(٤٨)جامع البيان (١/ ١٤٣).

(٤٩)جامع البيان(١/ ١٤٤).

(٥٠) التعريف في البلاغة العربية، ص ٢٠٣.

(٥١) الضميرُ ما يُكنى به عن مُتكلمٍ أو مخاطبٍ أو غائبٍ، انظر: جامع الدروس العربية (١١٥/١).

(٥٢) الضميرُ المنفصل ما يَصحُّ الابتداءُ به، كما يصحُّ وقُوعهُ بعد "إلاّ" على كلِّ حال. كأنا من قولك "أنا مجتهدٌ، وما اجتهد إلاَّ أنا" انظر: جامع الدروس العربية (١١٥/١).

(٥٣) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص١٢٨.

(٥٤) انظر: المنهاج الواضح للبلاغة (٢٧/٢-٢٨).

(٥٥) وقد أورد البلاغيون والمفسرون أغراضاً لخطاب غير المشاهد كما في الآية الكريمة، فجعلوا ذلك دليل استحضاره في القلب، وكذلك تكلموا عن دلالة تقديم المفعول به على الاختصاص، انظر: الكشَّاف (١٣/١)، المنهاج الواضح للبلاغة (٢٨/٢).

(٥٦) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص١٢٨.

(٥٧) محاسن التأويل (٢٣٥/١).

(٥٨) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص١٢٩.

(٥٩) سبق بيانها.

(٦٠) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٠-١٣١.

(٦١) انظر: المنهاج الواضح للبلاغة (١٠٣/٣)، خصائص التراكيب، ص ٢٦٥.

(٦٢) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣١.

(٦٣) انظر: إرشاد الفحول (٢٥٣/١).

(٦٤) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣١.

(٦٥) يشير بكلمة الأصلية إلى الأسماء الجامدة غير المشتقة –كما هو ظاهر من كلامه عنها–، والاسم الجامد: ما لا يؤخذ من الفعل، انظر: جامع الدروس العربية (٥/٢).

(٦٦) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣١-١٣٢.

(٦٧) مقاييس اللغة من تأليف الإمام أحمد بن فارس القزويني –رحمه الله تعالى–، وقد طُبِعَ بتحقيق عبدالسلام هارون –رحمه الله –في في ستة أجزاء، ونشرته دار الفكر في بيروت عام ١٩٧٩م.

(٦٨) مقاييس اللغة (١/ ٣).

(٦٩) لم يقدِّم أركون هنا أي دراسة مؤثرة في تفسير كلمة (الحمد). بينما بحث المفسرون دلالات أل في الحمد، ومعنى اللفظة القرآنية، وأثر موقعها الاعرابي في تفسيرها، انظر: الكشَّاف (٩/١).

(٧٠) يشير أركون إلى القراءتين في الآية الكريمة، وقد قرأ (مالك) عاصم والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأ (ملك) باقي العشرة، انظر: اتحاف فضلاء البشر (١/ ٣٦٣).

(٧١) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٢.

(٧٢) انظر: تهذيب اللغة (١٧٨/٥).

(٧٣) التحرير والتنوير (١/ ١٧٥).

(٧٤) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٢٤.

(٧٥) يُعرِّف هاشم صالح – مترجم كتب أركون– في الحاشية النموذج العاملي بأنه: الذي يحتوي على جميع العاملين (أو الفاعلين) الأساسيين الموجودين في كل سرد لغوي أو حكاية، وهم الفاعل، الموضوع، المرسِل، والمرسّل إليه، المعارضون، الأنصار، المساعدون" القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٣، ونلاحظ أن مفهوم النموذج العاملي يتسع جداً ليشمل مالا علاقة له باللغة، بل يتداخل فيه اللغوي والمعنوي.

(٧٦) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٣.

(٧٧) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٤.

(٧٨) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٤.

(٧٩) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٤.

(٨٠)الاتقان (٣٣٤/٣).

(٨١) التفسير الإجمالي: هو بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل؛ كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها، انظر: فصول في أصول التفسير، ص٣٣.

(٨٢) هذا الطول في التفسير عند استعادة جميع التفاسير لم يمنع العلماء من سلوكه، بل سلوكه فيه ضبطٌ صحيح للتفسير.

(٨٣) سبق تعريفها.

(٨٤) الإبستومولوجيا: هي فرع من فروع الفلسفة تدرس مبادئ كافة أنواع العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها، انظر: مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، ص ١٨٩.

(٨٥) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٦.

(٨٦) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٦–١٣٧.

(٨٧) وهي كما يرى أركون المقدمات اللغوية المسهبة في كتب التفاسير

(٨٨) وهي كما يرى أركون: "مجمل المبادئ اللاهوتية والعقائد الإيمانية والطقوس والشعائر التي تتحكم بالفكر" القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٨.

(٨٩) وهي كما يراها أركون: توسع جانب الخيال أو المخيال انطلاقا من النص القرآني، ورؤيته هذه مبنية على زعمه أن في القرآن الكريم أساطير، وقد أشار لذلك في كتابه القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٧٠

(٩٠) وهو كما يراه أركون: خلاصة العلم المتاح في زمن المفسر، والذي يستخدمه للوصول إلى المعنى، انظر: القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٨.

(٩١) وهو كما يراه أركون أهم الأنساق، وكلها تقود إليه، ويعني إمكانية الوصول إلى المعنى، انظر: القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٧-١٣٩.

(٩٢) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٣٩.

(٩٣) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١) عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال قال رسول الله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

(٩٤) وبالرجوع لأمثال البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان للسيوطي، ومناهل العرفان للزرقاني، نجدها أوردت مباحث تتصل بالتاريخ كأسباب النزول والمكي والمدني، ومباحث تتصل بدلالات الألفاظ كالعام والخاص والظاهر والمؤول، ومثل هذا فيه كفاية عن الأنساق التي أوردها أركون.

(٩٥) الانتربولوجيا/ العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، انظر: قصة الانتربولوجيا، ص ١٣.

(٩٦) الأنسنة:مذهب فلسفي يؤكد فردية الإنسان ضد الدين، وأنسنة الوحي: تحويله من كونه إلهيا إلى أن يكون بشريا أنتربولوجيا، انظر: أنسنة الوحي(دراسة نقدية) بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد٢٦العدد٢،ص ٣٨١.

(٩٧) منها: نزعة الأنسنة في الفكر العربي.

(٩٨) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٤٠.

(٩٩) القرآن من التَّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٤١.

(١٠٠) ومن الكتابات في تلك الموضوعات: الحياة في القرآن الكريم دراسة موضوعية، من تأليف: أحزمي سامعون جزولي، وطبعته دار طويق بالرياض في ثلاثة مجلدات، وموضوع: الموت في القرآن الكريم، وهو رسالة ماجستير مقدمة من الباحث عادل كمال حاج الخضر، في جامعة أمدرمان في السودان، وموضوع: مفهوم الزمن في القرآن الكريم، كتبه الدكتور مُحَمَّد بن موسى باباعمي، ونشرته دار وحي القلم في دمشق.

(١٠١) التسهيل لعلوم التنزيل (٦٧/١)باختصار.

المصادر والمراجع:

١. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تأليف: أحمد بن مُحَمَّد البنا، تحقيق: الدكتور: شعبان مُحَمَّد اسماعيل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢. الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن بن أبي بكر السُّيوطي، تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، مُحَمَّد بن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٤. أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة مُحَمَّد ناصر الدوسري، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٥. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.

٦. أنسنة الوحي (دراسة نقدية) بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية،

٧. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبدالله بن يوسف بن هشام، تحقيقك يوسف الشيخ مُحَمَّد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ.

٨. البحر المحيط، مُحَمَّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٩. البرهان في علوم القرآن، مُحَمَّد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق/مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة-بيروت، ١٣٩١هـ.

١٠. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١١. البلاغة العربية، عبدالرحمن حسن حبنَّكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٢. التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس، بدون تاريخ.

١٣. التسهيل لعلوم التنزيل، مُحَمَّد بن أحمد بن جزي، تحقيق: الدكتور عبدالله الخالدي، شركة الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٤. التلقي في النقد العربي في القرن الرابع الهجري، مراد حسن فطوم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مُحَمَّد بن جرير الطبري، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر.

١٦. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا، الطبعة الثامنة والعشرون، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٧. جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي، دار الفكر، ١٤٢١هـ.

١٨. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، الدكتور مُحَمَّد مُحَمَّد أبو موسى، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة السابعة،بدون تاريخ.

١٩.الزيادة والإحسان، ابن عقيلة المكي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مركز الدراسات والبحوث جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
٢٠.السيميائية وفلسفة اللغة، أمبرتو إيكو، ترجمة: د.أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٢١.صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ.
٢٢.صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٣.العلمانيون والقرآن الكريم، الدكتور أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
٢٤.فصول في أصول التفسير، الدكتور مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
٢٥.الفكر الإسلامي قراءة علمية، تأليف: مُحَمَّد أركون، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
٢٦.الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، تأليف: مُحَمَّد أركون، ترجمة: هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، بدون الطبعة والتاريخ.
٢٧.القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، تأليف: مُحَمَّد أركون، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.
٢٨.القراءة الجديدة للنص الديني، د. عبدالمجيد النجار، دار الراية للتنمية الفكرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
٢٩.قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ علم الانسان، للدكتور حسين فهيم، عالم المعرفة، الكويت.
٣٠.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ضبط/ يوسف الحمادي، مكتبة مصر، بدون تاريخ.
٣١.محاسن التأويل، مُحَمَّد جمال الدين القاسمي، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٣٢.مفاتيح الغيب، الإمام مُحَمَّد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.
٣٣.المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، بدون تاريخ.
٣٤.نظرات في القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في دول المغرب العربي، د. مُحَمَّد زين العابدين بن رستم، بحثٌ مقدَّم لمؤتمر " القراءات المعاصرة للقرآن الكريم" المنعقد في المغرب العربي عام ٢٠١١م.